يكتبها اليوم : محمد العزب موسى

* « ليس كتابا فى التاريخ ، ولا فى الفكر السياسى ، وإنما هو يمزج بينهما برشاقة ولا بأس من اضافة بعض التوابل *

من هوجة عرابى إلى الحركة المباركة

من يرد ان يعرف مدى شوق الشعب المصرى للديمقراطية وكفاحه فى سبيلها ، وتضحياته من اجلها ، فليقرأ هذا الكتاب الذى صدر حديثا « من هوجة عرابى إلى الحركة المباركة » للكاتب السياسى احمد طلعت .

وهذا الكتاب ليس كتابا فى التاريخ وإن كانت كل شخوصه واحداثه تاريخية .. انه يتتبع تاريخ مصر السياسى الحديث منذ ثورة احمد عرابى الى قيام ثورة ١٩٥٢ باسلوب رشيق قد يقفز فوق التفصيلات والجزئيات ، ولكنه يركز على شوق الشعب الأساسى : الديمقراطية .

لم يكن الشعب الفرنسى عند قيام ثورته عام ١٧٨٩ - من حيث مستواه الحضارى والثقافى - فى مرتبة اعلى من حالة الشعب المصرى بعد قرنين بالتمام والكمال ، ومع ذلك فقد حصل الشعب الفرنسى بقيام هذه الثورة على حقوقه الديمقراطية التى ما فتئت تتأكد وتتسع فى التعديلات اللاحقة . أما الشعب المصرى الذى عرف أول نواة للحياة النيابية فى عهد محمد على وحصل على برلمان منتخب فى عام ١٨٨١ فقد عانى نكسات كثيرة فى الديمقراطية حتى قامت ثورة ١٩٥٢ أو « الحركة المباركة » فقضت على البقية الباقية من حكم الشعب للشعب .

وللحق فإن التجربة الديمقراطية الأكثر سلامة فى مصر تنحصر خلال الحقبة الليبرالية من ١٩٢٢ إلى ١٩٥٢ التى شهدت قيام الاحزاب والكفاح من اجل الاستقلال ، واتسعت لنضال سعد زغلول وزعماء مصر السياسيين من مختلف الاحزاب والاتجاهات ، ثم قامت « الحركة المباركة » عام ١٩٥٢ فألقت الماء البارد على نيران الديمقراطية .

ويتتبع أحمد طلعت هذه الفترة فى فصول قصيرة شائقة ، فبين كيف قامت ثورة ١٩١٩ ، وكيف انقسم حزب الوفد ، وخلفية معاهدة ١٩٣٦ ، وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وعرض القضية المصرية على مجلس الأمن عام ١٩٤٦ ، ولما كان المؤلف - فيما أعلم - من شباب الحزب السعدى قديما فقد أفرد صفحات كثيرة للحديث عن المرحوم محمود فهمى النقراشى مشيدا بنزاهته ومواقفه ، وهذا امر لا يجادل فيه أحد .

ولما قامت « الحركة المباركة » - وهذه تسمية زعمائها الأولى - استخدمت على ماهر لتحقيق أولى خطوات سيطرتها على الحكم ، ثم اختلفت معه حول قانون الاصلاح الزراعى .. فتخلصت منه ليحل محله فى رئاسة الوزارة زعيم الثورة اللواء نجيب .

وكان الزعيم الشعبى مصطفى النحاس يقضى اجازة الصيف فى اكس ليبان بفرنسا ولما قامت الحركة المباركة عاد بالطائرة - التى ركبها لأول مرة - وهنأ قادة الحركة الذين كانوا يتهيبون لقاءه ويحسبون له الف حساب لقدرته على تحريك الشارع المصرى « باشارة من أصبعه » ، ولعله اعتقد حينئذ ان الحركة المباركة سوف تمهد لعودة الوفد إلى الحكم .

ثم يتحدث المؤلف عن موقف أمريكا من الحركة المباركة وتأييدها لها أو على الاقل عدم مناصبتها العداء ومعارضتها للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . كما يتحدث عن موقف الشعب المصرى فى استقبالها بنوع من القبول العام لسوء سمعة الملك ولما دخل فى روعه بأن الحركة لا تضمر المساس بالديمقراطية .

وعندما جاء عبدالناصر الى الحكم تظاهر لمدة ثلاث سنوات بحماية دستور ١٩٢٣ حتى استقر له الحكم وتخلص من زعماء « العهد البائد » وقضى على خصومه وتجاوز أزمة مارس ١٩٥٤ . ثم شن حملة شعواء على ديمقراطية ما قبل الحركة المباركة فوصفها بأنها ديمقراطية زائفة تعبر عن الرجعية المتحالفة مع الاستعمار ، ولا يكاد يخلو خطاب له أو لغيره من رجال الثورة فى هذه الفترة من الهجوم على دستور ١٩٢٣ والديمقراطية التى قامت فى ظله . ثم جاء « ميثاق العمل الوطنى » فى مايو ١٩٦٢ مؤكدا ومنذرا لهذا الهجوم على الديمقراطية بدعوى انها لا تتسع لمطالب التغيير الاجتماعى ، وأخذ عبدالناصر بنظام الحزب الواحد سواء كان هيئته التحرير ، أو الاتحاد القومى ، أو الاتحاد الاشتراكى .

ويفرد المؤلف الفصول الأخيرة من كتابه للحديث عن الركائز الأساسية للديمقراطية ، وضمانات وجودها ، مبينا ان الديمقراطية بمفهومها الأصيل - وليس بمفهوم الحركة المباركة - هى اكبر ضمان ضد التطرف والغليان ، ولكنه يبتر الحديث عن التجربة المصرية فى الديمقراطية فى عهدى السادات ومبارك واعدا بأن يتابعه فى كتاب قادم .

★★★

هذا الكتاب - كما قلت - ليس كتابا فى التاريخ ولا فى الفكر السياسى ، وإنما هو يمزج بينهما برشاقة ولا بأس ايضا من اضافة بعض التوابل الأدبية والفنية والذكريات الشخصية اليه . ولكنه فى مجموعه يعبر عن فكر الكاتب وتحمسه للديمقراطية التى يكاد يراها القيمة الوحيدة التى من اجلها خلق الانسان على الأرض .

وهذا الحماس الشديد يحول نظر الكاتب عن أى انجازات أخرى لأى رجل من الرجال ، أو أى عصر من العصور ، ولذلك فقد جاء الكتاب وثيقة اتهام وإدانة شديدة لبعض جوانب تاريخنا الحديث غافلا عن أى انجازات اخرى فى أى ميدان . وهذا هو نفس القصور الذى يقع فيه الكتاب السياسيون من مختلف الاتجاهات .. كل منهم يرى الأمور بمنظوره السياسى ، ولا يقدم تقييما شاملا للعصر الذى يتناوله .

وينهى احمد طلعت كتابه مطالبا الرئيس محمد حسنى مبارك بأن يفصل نفسه عن اخطاء وخطايا الماضى باعتباره غير مسئول عنها ، وان يجعل المستقبل شغله الشاغل والأخير .

ونحن فى انتظار الجزء الثانى الذى يتحدث عن ديمقراطية السادات ومبارك .

من هوجة عرابى إلى الحركة المباركة (ص ١٢)

● الأخبار ● ١٩٨٩/٦/١١ ●